al-Zuhur, vol. 1, no. 10 (Dec. 1, 1910)
pp. 444-448
(In Arabic)

مروان بن الحكم في تسفهِ وجوره ؟ او هذا الاعرابي في جوعه وفقره ...؟

فأنشدت تقول :

هـذا وان كان في جوعٍ واضرارِ أعزُّ عندي من قومي ومن جاري
وصاحبِ التاجِ او مروانَ عاملهِ وكلّ ذي درهم عندي ودينارِ

ثم قالت : والله يا امير المؤمنين ، ما انا بخازنتهِ لحادثات الزمان ، ولا لغدرات الايام ؛ ولكنهُ صحبةٌ قديمةٌ لا تنسى ، ومحبةٌ لا تبلى ؛ وانا احقُّ من يصبر معه في الضراء ، كما تنعمتُ في السراء

فتعجب معاوية من عقلها ومودتها ووفائها ، فدفع لها عشرة آلاف درهم ، ودفع مثلها للاعرابي ، فأخذها وانصرف

تاريخ المهاجرة

« واسبابها »

كثر ذكر المهاجرة في هذه الايام وافاض الكتاب الكلام فيما يتهدد سوريا من الخراب من سفر ابنائها . فرأينا ان نورد هنا تاريخ هذه المهاجرة الى اميركا مستندين في اقوالنا وتعليقاتنا الى كتاب جميل افندي حلوه الذي تكلم عنه في الجزء الثالث ص ٤٠٨ ووعدنا بالرجوع اليه :

كان ذكرُ العالم الجديد ، ولا يزال ، مقروناً بالخيرات والبركات ، ولكم صوّر في ادمغة الاوربيين والشرقيين جبالاً من الذهب تلمع السحائب ، واباراً تفيض من التبر سكائب ، حتى كادوا يظنون ان لا فرق يعوزهم هناك الا المجارف لتجميع ما فيها من مالٍ تليد وطارف ، مع

"The History of Emigration and Its Causes"

الاحوال قد تغيرت في ايامنا
تيار المهاجرة لا يزال يقذف
وعهد مهاجرة السوريين
رادوا البحار ، وحملوا تجارتهم
تبدأ الآ منذ نصف قرن تقريبا
الاقتصادية في السلطنة العثمانية
على مذهب « فرّق تَسُد » فـ
والطوائف حتى كادت توقع البلا
وسادت الفوضى ، ودرس العلم
اميركا حتى هرع الكثيرون الى
حيث افلتوا من عُقل التقاليد و
الصعداء لان حالة الفلاّح العثماني
وكان القرويون اول من شد
السريع وحشدهم المال الكثير
اخوانهم على اللحاق بهم الى ارض
فتحت حكومات اميركا باب المها
حاجة الى تعمير البلاد واستثمار الار
الباب وسيعاً لخروجهم لان معظمهم
تخلص من مشاكلها مع الدول ا
ومواطنه المسيحي سيّين في احتمال الم

الاحوال قد تغيرت في ايامنا . واميركا اليوم هي غير اميركا بالامس . ولكن تيار المهاجرة لا يزال يقذف اليها في كل سنة مئات الالوف من المهاجرين

وعهد مهاجرة السوريين قديم ، يرتقي الى اجدادهم الفينيقيين الذين رادوا البحار ، وحملوا تجارتهم الى اقصى الديار . أما مهاجرتهم الى اميركا فلم تبدأ الاّ منذ نصف قرن تقريباً . وكان الباعث الاكبر عليها اختلال المجاري الاقتصادية في السلطنة العثمانية بفساد الحكومة الاستبدادية التي جرت على مذهب « فرّق تَسُدْ » فتأصلت روح التعصب بين الجماعات والشيع والطوائف حتى كادت توقع البلاد في حرب اهلية دائمة ، وتضعضع الامن ، وسادت الفوضى ، ودرس العلم ، وثقلت المعيشة . وما بشر الناس بخيرات اميركا حتى هرع الكثيرون الى البواخر تحملهم الى شواطىء العالم الجديد حيث افلتوا من عُقل التقاليد وانفكوا من قيود الفقر والمظالم ، وتنفسوا الصعداء لان حالة الفلاّح العثماني كانت من اتعس الحالات

وكان الفرويون اول من شدّ الرحال الى اصقاع اميركا . وكان إثراؤهم السريع وحشدهم المال الكثير في الوقت القليل محرّضاً كبيراً على اقبال اخوانهم على اللحاق بهم الى ارض الحرية والاخاء والمساواة والغنى . وقد فتحت حكومات اميركا باب المهاجرة لدخول المهاجرين لانها كانت في حاجة الى تعمير البلاد واستثمار الاراضي . وفتحت ايضاً الحكومة العثمانية الباب وسيعاً لخروجهم لان معظمهم كان من النصارى ، واهمة انها بنزوحهم تخلص من مشاكلها مع الدول الاوربية : على ان المسلم العثماني كان ومواطنه المسيحي سيّين في احتمال المظالم وتكبد المغارم . فلحق به الى

المهجر وهكذا لم تلبث المهاجرة التي بدأ بها النصارى ان شملت سائر الطوائف والملل من المسلمين والدروز والمتاولة فاقتعدوا غارب الرحيل الى العالم الجديد وكان تيارُها في بداية الامر موجهاً الى البرازيل وما قاربها قبل ان اتجه الى الولايات المتحدة

وصل المهاجرون الى بلاد سادت فيها الحرية ، واستتب الامن ، وتوفرت مصادر الارتزاق ، والكل فيها سواء ، برعاية النظام والقانون ، والاشتراك في ادارة شؤون البلاد . فنزلوا في ميدان الجهاد واقبلوا على العمل بنشاط واجتهاد . فاثروا شيئاً فشيئاً وتخلقوا باخلاق القوم الذين نزلوا بينهم وفتح الكثيرون منهم البيوت التجارية الكبيرة بعد ان كانت تجارتهم دائرة على « الكشة والجزدان » ومدّوا يدهم الى الصناعة والزراعة فاحرزوا نجاحاً يُذكر

ويقدَّر عددهم الآن بثلاثمائة الف في الولايات المتحدة وحدها وقد اسسوا ايضاً جوالي كثيرة في الجمهورية الفضية والبيرو والبرازيل والمكسيك وهايتي وسائر انحاء اميركا . واصبحت لهم بين القوم منزلة سامية ، وقد اجاد حافظ ابرهيم وابدع في وصف المهاجر السوري اذ قال :

يمضي ولا حليةٌ الا عزيمته ... وينثني وحلاه المجد والذهبُ
يكرُّ صرفُ الليالي عنهُ منقلباً ... وعزمه ليس يدري كيف ينقلبُ
بارض « كولبَ » أبطال غطارفة ... أسدٌ جياعٌ اذا ما ووثبوا وثبوا
اسطولهم امل في البحر مرتحلٌ ... وجيشهم عملٌ في البرّ مغتربُ
ما عابهم انهم في الارض قد نثروا ... فالشهب منثورة مذ كانت الشهبُ

رادوا المناهل في الدنيا ولو وع
سعوا الى الكسب محموداً وما فا
وبالحقيقة فقد نشر المها
المعمور وأصبحت جرائدهم و
من أرقى الصحف العربية
اليومية وهي مشحونة بغرر الم
في ابحاثٍ آتية عن النهضة ال

هذا جلُّ ما يقال عن
وأمامنا الآن نقطتان : اولاً
من سكانها . وثانياً ، الاه
وكلا الامرين جدير بالبحث
كتب الكثيرون من
باب المهاجرة . ولكن النقص
اي تسهيل الحكومة للاه
العمومية بل مباشرتها بنف
البلاد حتى يجد الناس مرتز
التامة دون محاباة . فان ذلك
الاوطان العدد الاكبر من
في الخارج من الخبرة والمعا

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرّة ركباً صاعداً ركبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت أمُّ اللغات بذاك السعي تكتسبُ

وبالحقيقة فقد نشر المهاجرون لواء اللغة العربية في أقصى انحاء المعمور وأصبحت جرائدهم ومجلاتهم في اميركا تعدّ بالعشرات . وصحافتهم من أرقى الصحف العربية منها جرائد يومية تصدر بحجم أكبر جرائدنا اليومية وهي مشحونة بغرر المقالات ودرر الاشعار (وسنعود الى كل ذلك في ابحاثٍ آتية عن النهضة الادبية في اميركا)

***

هذا جلُّ ما يقال عن تاريخ المهاجرة واسبابها وحالة المهاجرين . وأمامنا الآن نقطتان : اولاً ، ايقاف تيار المهاجرة الذي كاد يفرغ البلاد من سكانها . وثانياً ، الاهتمام بالذين هاجروا وحفظ روابطهم بوطنهم . وكلا الامرين جدير بالبحث وامعان النظر

كتب الكثيرون من الادباء عن الطرق الواجب اتخاذها لاقفال باب المهاجرة . ولكن النقطة الجوهرية راجعة الى امرين ، مادي وادبي . اي تسهيل الحكومة للاهالي تأسيس المشروعات الاقتصادية والاعمال العمومية بل مباشرتها بنفسها ، وانشاء سبل المواصلات واستثمار ثروة البلاد حتى يجد الناس مرتزقاً . وضبط الامن واقامة العدل ونشر المساواة التامة دون محاباة . فان ذلك لا يمنع الناس فقط عن المهاجرة بل يعيد الى الاوطان المدد الاكبر من الذين نزحوا عنها . فينفعون بلادهم بما اكتسبوا في الخارج من الخبرة والمعارف والثروة

وقد أحسن صاحب الكتاب الذي أشرنا اليهِ في صدر الكلام اذ قال : « المهاجرة هي امتن ذريعة تتذرَّع بها الامة لدى اولي الاحكام ، تنفيذاً لبغيتها من الاصلاح والنظام وهي كمقاطعة البضائع بين الدول حرب سياسية اقتصادية لا بدّ لها أخيراً من الفوز والغلبة »

اما النقطة الثانيـة فهي الاهتمام بالمهـاجرين في مهجرهم وهم يبلغون مئات الالوف كما قدمنا وفيهم التاجر والمالي والطبيب والمحامي والصانع والمزارع والمؤلف والمخترع . فهم اذن قوة استعمارية عظيمة بالمعارف والعلوم والفنون والمال ونشر النفوذ ويحق لدولتهم ان تفاخر بهم ويجب عليها ان تحتفظ بهم فتحكم علائقها بهم ولو بعدت الديار وشط المزار ، وذلك بالالتفات اليهم وتعيين قناصل ووكلاء سياسيين ينظرون في احوالهم ويوثقون رابطتهم القومية وجامعتهم الوطنيـة ، ويذودون عن حقوقهم ومرافقهم فلا يكونون عرضة للاهانة وطعمة لكل من تحدثه النفس بالتهجم عليهم وليس كل ما قدمنا بالامر العسير على الحكومة الراقية التي تفهم واجباتها نحو امتهـا

بين جدران السجون

وكادت الغزالة تتوارى وراء حجاب الافق فقفلنا معها عائدين من سراي الحكومة اذ استوقفنا عند الباب الغربي طرق مطرقة رددت صدى ضرباتها المتتابعة جدران ذلك المكان

في الشبيبة ، مهما تكاملت صفاتها ، روح دفعتنـا الى سؤال احد

الجنود الخفراء عن مصدر هذا الص
وكان هنالك قوة دافعة ليقظت ف
تلك القصور السفلية ! فسرنا الى
اعتراض احد انفار الخفارة لنا بقو
فانتظرنا

ولم يطل انتظارنا ، حتى ف
الجندرمة ، يصحبهُ كهل حامل ع
الادوات الحديدية ، وتلاهما عدد
اقتربنا من الضابط وسألناه
— سرحوا أبصاركم في الا
فهي مفعمة شقاء

ولكن لما أظهرت له ميلي
وأشار الى احد انفاره باستئذان
وكان النهار قد مال الى ال
ففكر صاحبنا برهة وقال : هيو
ولجنا الباب الذي كان لم
العشرة امتار تفصله عن مدخله
عاليـة والى جانبيه وحول جدر
ينزل منها الى المغاور التي يقط
اسمه الشريف